

القسم الثانى

ثانياً:

آراء وأفكار لغوية بين الإمام الجرجانى والمفكر ابن خلدون وبين العالم الدكتور ناحوم تشومسكى

- لقد فضلت أن آخذ آراء الدكتور تشومسكى من كتاب الدكتور خليل أحمد عميرة -رحمه الله - وكتابه هو : (فى نحو اللغة العربية - منهج وتطبيق)^(١). ذلك .. لاعتبارين - الأول .. أن الدكتور خليل استصفى الآراء المهمة فى نظرية الدكتور تشو (على أنى قرأت كتب تشو - فى اللغة) ..

- الثانى - أن عميرة علق على هذه الآراء - قبولاً - (ومن غير مراجعة جملة واحدة - يناقشها، ويفندها، أو يذكر الجوانب الإيجابية فيها، والجوانب السلبية. وهذا.. يشير إلى أننا - نحن العرب - وأبناء العالم الثالث كله ما نزال، فى ضلالنا القديم الذى بدأ منذ غزو نابليون لمصر، قُرابة نهاية القرن الثامن عشر فنحن أيتها الأمة التى فقدت قدرتها على الإسهام فى الحضارة - أمسينا على قناعة أن المستشرقين، ومثلهم العلماء الغربيون لا يخطئون. «فكل فرنجى - عندنا - برنجى»، أو كما قال ابن خلدون: المغلوب.. مولع أبداً، بتقليد الغالب).

(١) السعودية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- والآن إلى موجز أفكار هؤلاء العباقرة الثلاثة:

نظرية اللغة بين ابن خلدون وعبد القاهر الجرجاني وبين ناحوم تشومسكى:

- سأكتفى - هنا - بالمقارنة بين نظرية الإمام عبدالقاهر الجرجاني الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى - الثانى عَشَرَ الميلادى وآراء الفكر ابن خلدون (الذى عاش فى القرن الثامن)، أى فى القرن الرابع عَشَرَ الميلادى، من جهة - وبين نظرية الدكتور: ناحوم تشومسكى الذى ولد فى القرن العشرين.. عام ١٩٢٨م - من جهة أخرى. سأكتفى بالمقارنة الموجزة بينهم لأهمية النظريتين، ولأهمية آراء ابن خلدون اللغوية، ولأن عبد القاهر الجرجاني كان أدقَّ فهمًا بعلاقة اللفظ بالمعنى - كما أرى - من تشو.

- فى الطبعة الأخيرة المنقحة لنظرية تشو يعرض الدكتور العميرة أهم النقاط فيها على النحو التالى: (وقد ترتب على هاتين الفرضيتين (الفطرية والشمولية) فرضية أخرى تبرز فى المصطلحين التاليين: الكفاية (Competence)، والأداء (Performance) فالكفاية تكون فى امتلاك المتكلم - السامع): Ideal hearer-Speaker القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جداً من الفونيمات^(١) الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التى يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية - ثم.. القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة وتجميعها فى مورفيمات^(٢)

(١) الفونيم.. يراد به صوت الحرف داخل الكلمة. ويمكن أن نترجمه بكلمة (الصُّوَيْت).

(٢) والمورفيم.. يراد به صوت الكلمة الواحدة. ويمكن أن نترجمه بكلمة (الصُّوَات).

تننظم فى جملى؁ والقدرى على ربلها بملنى لغوى ملحد. ذلك كله يتم بمللىل ذلنىة داخلية يتم التنسىق ببلنهما بما يسمى «إنتاج اللغة»^(١). وأقول: ولا يعى المتكلم: كيف تتم هذه الملىل الذلنىة الداخلية.

١- ترجمة العمارة لكلمة غير دقلقة:

أقول: المؤلف (العمارة) ترجم كلمة (Competence) بكلمة (الكفاية) وهذه الترجمة غير دقلقة. فالكفاية لا تعنى (الكفاءة) وإنما تعنى -الافتقاء- وواضح أن معنى الافتقاء.. لىس هو المقصود؁ وإنما المقصود هو (الكفاءة) -أى- القدرة اللغوية. وأنا أفضل كلمة (القدرة اللغوية) وأفضل على كلمة القدرة كلمة ابن خلدون؁ وهى: (الملكة)؁ لأن الكفاءة تعنى.. القدرة الكاملة؁ فنحن عندما نقول: فلان كُفءٌ لىكون باحثاً.. فمعنى ذلك أن لده القدرة الكاملة لىكون باحثاً - (طبعا القدرة الكاملة فى حدود الكمال البشرى). ولكن؁ عندما نقول: فلان لده الكفاية لىكون باحثاً.. فإننا لا نشعر بأنه ذو كمال فى البحث. وهذا.. ما يمكن أن يؤخذ من المثل التوضىحى فى معجم (أكسفورد الحديث) يقول المعجم: (Competence=Having).

The ability or skill that is need: she quickly proved her - Competence - in her new position)

ف (ability) هى أقرب إلى معنى القدرة - من معنى (الكفاية). لأن العبارة السابقة تقول: لقد أثبتت (الفتاة) بشكل سرب - كفاءتها؁ أو قدرتها (ولىس.. كفايتها) فى وظيفتها الجديدة.

(١) خليل عمارة؁ فى نحو اللغة وتراكيبها؁ ٥٤.

إذن.. هي (القدرة) وليست (الكفاية). أو هي «الملكة» كما قال ابن خلدون.

- أما كلمة (الأداء) - اللغوي - ترجمة لكلمة (Performance)..
فمناسبة.

- ثم يقول عمارة: (وهذه القواعد القوانين وتلك القدرة كامنتان في
الذهن، وأما استعمالها (أى: استعمال اللغة) فيسمى الأداء. فالأداء:
هو الكلام أو هو الجمل المنتجة التي تبدو فونيمات ومورفيمات^(١) تنتظم
في تراكيب جمالية خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكاملة، والمسؤولة
عن تنظيم هذه الفونيمات والمورفيمات في تراكيبها. فهو (الأداء) الوجه
الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكاملة باللغة. ولكن هذا الوجه قد
لا يحصل بينه وبين الكفاية تطابق تام، فيكون فيه انحراف (خطأ) ناتج
عن عوامل مقامية سياقية، أو ذهنية نفسية اجتماعية.. إلخ.

(وقد ارتبط بهاتين الفرضيتين فرضيتان أخريان في نظرية تشومسكى
هما: البنية العميقة (Deep structure) والبنية السطحية (Surface
Structure) أما البنية العميقة فهي الأساس الذهني المجرد لمعنى
معين يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التركيب
رمزاً لذلك المعنى وتجسيداً له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة،
ولتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة فيها...

(وبصرف النظر عن الكيفية التي تأتي عليها البنية السطحية هذه.
فقد تكون، كما ذكرنا قبل قليل، وقد ينطق بها المتكلم، مقدماً جزءاً من

(١) مورفيم: يمكن أن نطلق عليه بـ (الصُّوَات) - الواو بدون تشديد.
(انظر: سابقاً).

الجملة النواة على الآخر... وهذا كله لا يقدم ولا يؤخر فى المعنى الذى فى ذهن المتكلم أو فى الكشف عنه^(١).

٢ - اللغة فطرية:

أقول: إن معنى قول -تشو-: إن اللغة فطرية.. هو أن الإنسان يستطيع أن ينتج اللغة ولا يستطيع ذلك سائر الحيوانات.. وتوضيح ذلك.. أن فى الدماغ خلايا خلقت «مستعدة» لاستقبال اللغة. وهذا أمر بديهى^(٢)؛ فالإنسان لا يحصل شيئاً من العلم، سواء أكان فى مجال العلوم أو الآداب أو المعارف الإنسانية، إلا إذا كان لديه استعداد فطرى لذلك أى: لديه قدرة - بالإمكان -، أى؛ لديه خلايا فى الدماغ تستطيع، بالتعاون مع عضوية الجسم، ومع الوجدان خاصة (أى: العواطف والمشاعر والأحاسيس) أن تستقبل شتى المعارف والعلوم. ولذلك.. لأن الإنسان لم يخلق لديه استعداد فطرى للطيران - دون واسطة - لا يستطيع أن يطير على ارتفاع عشرين متراً، ولو ظل يتدرب طول حياته، بينما تستطيع ذلك الطيور، لأنها خلقت وفى جسمها استعداد للطيران، فتأخذ تطير بعد الولادة بأسبوع أو بشهر، يبدأ طيراناً ضعيفاً ثم يشتد.

إن - تشو - بهذا - لم يأت بشيء جديد غير معروف لكل العقلاء، أو على الأقل - لكل المثقفين العقلاء.

(١) المرجع نفسه، ٥٥ - ٥٩.

(٢) بعض الكتاب يقول (بدهى). وهذه الصيغة.. لا تقاس على (فعيلة-فعلي/مثل: ربيعة - ربعى) لأنها صيغة مسموعة عن العرب. والقياس هو لما يولده الناس بعد عصور الاحتجاج لا لما سمع عن العرب. فما سمع من العرب - ولو كلمة واحدة - يُقاس عليه - ولكن - لا ينقاس على غيره، فهو بذاته - قاعدة.

٣ - معنى أن اللغة شمولية:

- وإن معنى قوله: إن اللغة شمولية.. هو أن هذه الخلايا التي في الدماغ فيها قدرة على تنظيم اللغة فى قواعد وقوانين محدودة العدد، تمكن الإنسان من صوغ جمل غير محدودة العدد. ومن معرفة الصائب منها من الخطأ، سواءً أكان هو المنتج لها أم كان غيره هو المنتج لها.

- وأقول: هذا أمر سبق به ابن خلدون تشو بستة قرون؛ فابن خلدون يرى أن تكون الملكة اللغوية (أو القدرة اللغوية) إنما تحصل من خلال سماع القول الفصح وقراءاته والدربة على استعماله. أى: إن الإنسان يقوم بعمليتين مترافقتين متعاقبتين: يتلقى اللغة شيئاً فشيئاً ويمارسها شيئاً فشيئاً^(١). وأقول: إن هذا الكلام يعنى أن الدماغ قابل للاستقبال اللغة، وقابل لإنتاجها فى لحظات متعاقبة، بعضها للاستقبال وبعضها لإنتاج اللغة. ذلك.. عن طريق تكوّن مسارب فى الدماغ لذلك. أى - عن طريق تكون قواعد مجردة فى الدماغ.. تنتج الكلام ويقاس بها الكلام المنتج، لمعرفة ما هو صواب منه، وما هو خطأ.

- وهذا.. نص كلام ابن خلدون:

٤ - إن اللغة ملكة صناعية:

اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هى ملكات فى اللسان، للعبارة عن المعانى. وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة فى تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن

(١) انظر: ابن خلدون، المقدمة، ١٢٣٤.

المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة. والملاكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال^(١) لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم يتكور فتكون حالاً. ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة، أى صفة راسخة. فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم فى مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم؛ ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد فى كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال^(٢).

٥ - أليست اللغة اكتساباً؟

- ويقول الدكتور العمارة: (فليس الأمر فيما يرى تشومسكى اكتساباً، كما يراه السلوكيون، يتم بالتقليد والمحاكاة والتخزين فى الذهن الذى يولد صفحة بيضاء) إذن فالقواعد والقوانين النحوية المسؤولة عن بناء الجمل وتراكيبها.. فطرية ذهنية كلية عالمية).

- هكذا يرى تشو.

فأقول: إن نظرية تشو لا تقول الحقيقة، وإن نظرية السلوكيين لا تقول إلا نصف الحقيقة. أعنى أن اللغة لا تكتسب إلا بواسطة شيئين: الأول وجود خلايا فى الدماغ مستعدة لاستقبال اللغة كما سبق القول.

(١) المقدمة، ١٠٧١ - ١٠٧٢.

(٢) المقدمة، ١٠٧١.

والثانى وجود لغة تحلّ في هذه الخلايا عن طريق الاكتساب. وبهذا يكون رأى ابن خلدون أقرب إلى الصحة من الرأيين السابقين، لأنه جمع بين الاكتساب والاستعداد للاكتساب، تقوم بهما خلايا فى الدماغ. يدل على ذلك قول ابن خلدون السابق: (ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع، والتفهم الحسن لمنازع العرب، وأساليبيهم). فسلامة الطبع تعنى أن طبع الإنسان أى - فطرته مستعدة لتلقى اللغة، وأن التلقى يكون أجود إذا كان الطبع (=الفطرة) سليماً.

- وإن قول القرآن - التالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ - [النحل-٧٨] - أوضح، فى أن الإنسان يولد صفحة بيضاء، لكن، فيها «الاستعداد» لتلقى المعارف والعلوم (ومنها اللغة) ثم لإلقائهما إلى الآخرين. أحياناً بلا زيادة وأحياناً مع زيادة إبداعية. يدل على الزيادة (والإبداع) قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] - فهذا.. يعنى أن هناك علماً يأتى به من يتقى الله تعالى، زيادة على علم الكتب. وقد يأتى به كل مخلص لعمله.

- ونحن نستطيع أن نستخلص من ذلك مبدأ «عاماً»^(١) وهو أنه فوق العلم الموجود بين الناس، والمودع فى بطون الكتب - هناك.. علم مُضاف يأتى به العباقرة والمبدعون، الذين يخلصون لموضوعات بحثهم التى يعالجونها بالإخلاص.. صنو التقوى، إنما الإخلاص وَحْدَهُ للدنيا. أما الاتقاء.. فللدنيا والآخرة.

(١) (مبدأ) يجدر أن يأتى، بعد الهمزة فيها، ألف منونة تنوين فتح، لأن - مبدأ - مثل - مريغاً - فنحن نأتى، بعد العين، [والهمزة أخت العين] - بألف منونة تنوين فتح - فالكمال فى رسم صوت الكلمة (مبدأ) هو ما أثبتته - آنفاً.

ومما يدل على أن قول - تشو - ليس دقيقاً أنه لو كانت قواعد اللغة وقوانينها [المجردة].. موجودة في الدماغ، أصلاً، باعتبارها فطرية ذهنية كلية عالية - إذن.. لكانت كل اللغات على نحو واحد من التراكيب، أي - لكانت أنماط التراكيب - كلها.. متماثلة. وهذا.. غير حاصل. فاللغة الإنجليزية -مثلاً - فيها تراكيب كثيرة تختلف عن تراكيب في العربية. مثلاً، في الإنجليزية يقال:

(All the prophets are great men. This is a right statement).

أما في العربية.. فيقال: (كل الأنبياء.. كانوا رجالاً عظماء. وهذه مقولة صادقة).

فنحن نرى أن الإنجليزية قدمت -الصفة على الموصوف - a right statement أما العربية فقد أخرجت الصفة عن الموصوف - مقولة صادقة - فصادقة هي الصفة. و (right) هي الصفة المقدمة على الموصوف (Statement).

إذن.. الأصل وجود استعداد - لا قوالب وقوانين-. ولكن هذا الاستعداد.. ليس قالباً جامداً، وإنما هو صفيحة - مرنة - تتشكل بنوع اللغة التي تدخل إليها، (وبنوع العلم والخبرات).

٦- القدرة والأداء

وأقول: إن الكفاية (التي اصطلاحنا عليها بكلمة - القدرة - أو الملكة) والأداء.. القدرتين اللتين وردتا في النص الذي نقلناه من شرح الدكتور العمامرة لنظرية الدكتور - تشو - لا تختلفان كثيراً عن الفطرية والشمولية اللتين علقنا عليهما - سابقاً. فالكفاية تعني تخزين اللغة،

مفردات وتعابير، وخلال ذلك تتكون في خلايا اللغة في الدماغ القوالب والقوانين التي تسيّر عليها اللغة، والتي تؤدي إلى أن تكون هذه الخلايا قادرة على إنتاج عدد غير محدود من الجمل - عن طريق هذه القوالب - من عدد محدود من الجمل التي تشكل القوالب في الدماغ، ولكنها تظل في حالة كمون حتى يثيرها مثير خارجي أو داخلي، فتبرز منها - عملياً - الجمل التي تتناسب وهذا المثير، وهذا.. هو الأداء. هو القدرة على الإنتاج الفعلي للجمل المرتبطة بالمثير التي تعبر عن معنى.

ومثل هذا القول الأخير عن كمون المعاني في النفس، والعقل وأنها لا تظهر - ولا تتولد - إلا بمثير.. قاله الإمام عبدالقاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) منذ القرن الخامس الهجري - الثاني عشر الميلادي - قال: (وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلا بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته.. تبين لك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم يترتب في النطق حسب ترتيب معانيه في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداً حروف.. لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أنه يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأنه يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك)^(١).

معنى قول الجرجاني:

أقول قوله: بأن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم يترتب في النطق حسب ترتيب معانيه في النفس يعني شيئين: الأول - أن المرء

(١) دلائل الإعجاز، ٥٥ - ٥٦.

لا يستقبل ألفاظاً دون معانٍ، وغالباً ما تأتي الألفاظ في تعابير تقوم على معانٍ مركبة. وثانياً - أنه ينطق الألفاظ - غالباً في تعابير تترتب في النطق والكتابة حسب معانيها في النفس (أى: العقل) وهذا.. يعنى أن مستقرّ المعانى هو النفس (العقل)، ولن تستقر المعانى فى العقل لولا أن لها خلايا معينة فيه قادرة على الاستقبال، ولن تكون صالحة للاستقبال لولا أن تكونت فيها مسارب (قوالب) ^(١) للمعانى وللألفاظ، كمفردات وتعابير تقوم على أساس هياكل تراكيب تكونت فى هذه الخلايا بكيفية مجهولة. وهذه المسارب وهذه التشكلات التركيبية قادرة على التعبير بالألفاظ بترتيب حسب ترتيب المعانى فيها. ولما كانت المعانى غير متناهية فهذا يعنى أن هذه المسارب وهياكل التراكيب (تشكيلات التراكيب) قادرة على توليد ما لا يحصى من المعانى، بسبب مُثير، يحملها ما لا يحصى من «التعابير» المنضبطة بهياكل التراكيب المحدودة، وإلا.. لما استطاع متكلم أن يأتى بجديد فى المعنى الذى يستتبع ألفاظاً جديدة، أحياناً، أو ترتيب ألفاظ قديمة ترتيباً جديداً، أو جمعاً بين بعض الألفاظ الجديدة والألفاظ القديمة مع ترتيب جديد لها. وهذا.. التغيير فى الترتيب يصير أكثر عندما يكون الترتيب صادراً من أديب، وخاصة من شاعر.

(١) المسارب، أو القوالب.. هو مصطلح مجازى، ليس أكثر، من أجل تقريب الأمر، لأن الخلايا الخاصة باللغة، لو فحصت.. فلن يكون فيها مثل هذه المسارب، فالكيفية مجهولة - إلى الآن - كما أن كيفية معرفتنا لما أمامنا: أجميل هو أم غير جميل - مجهولة الكيفية. فنحن نلاحظ - النتائج العملية - ولا نلاحظ - مادياً - كيفية تشكلها فى خلايا الدماغ.. ليس هذا فى اللغة - وحدها - وإنما فى اللغة، وفى كل مهارة أو موهبة.. يمتلكها الإنسان. فسبحان الله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

٧ - حركة العاطفة عند الإبداع الأدبي:

أما في مجال إبداع الأدب فإن حركتها تكون عنيفة، على تفاوت بين المشاعر عند إنشاء الرواية.. عنها عند إنشاء الشعر. تكون حركتها قوية جداً في الشعر العظيم بحيث تبلغ ستين درجة بالمئة أو أزيد (٦٠٪) وتهبط إلى خمسين بالمئة (٥٠٪) أو أقل في القصة، ولكنها تهبط إلى ثلاثين بالمئة في الرواية (٣٠٪)^(١). وبهذا.. يكون حظ العاطفة أكثر من ضعف حظ العقل في الشعر. ثم يزداد حظ العقل قليلاً في القصة، ثم يربو على حظ العاطفة في الرواية. على هذا.. يكون التعبير في الشعر العظيم أكثر تركيباً وتعبيراً لترتيب الألفاظ، بعيداً عن الترتيب الطبيعي البسيط - من درجة ترتيبها في القصة. وفي القصة يكون أكثر منه في الرواية. وطبعاً يكون في الرواية أكثر منه في العلم ثم الفكر ثم النقد، سياسة واجتماعاً وفلسفة ونقداً. بل إن جيشان العاطفة في الشعر يضع أمام العقل صوراً - تشبيهات ومجازات وتشكيلاً جديداً للأشياء - لا يضع أمام العقل مثلها ولا قريباً منها في العلم والفكر والنقد، إذ يكاد العلم (ومثله الفكر) يكون خالياً من الصور.. من التشبيهات، ومن الاستعارات، خاصة. ويكون خالياً من ظهور الأشياء بتشكيلات جديدة.

٨ - مثل على لغة الشعر:

وَلنَمثُلْ على لغة الشعر ببيتٍ واحدٍ: للدلالة على غنى التركيب في الشعر، يقول الأخطل الأموي في وصف النساء الجميلات على الظفائن:
حَثُوا المَطْيَ فَوَلَّتْنَا رِكَابُهُمْ وفي الخُدُورِ إذا باغَتْهُمَا الصُّورُ

(١) هذه.. نسب تقريبية، وليست صارمة، لأن النفس الإنسانية متموجة، لا تثبت على حال، حتى عند الشخص الواحد، وفي مجال الفن الواحد.

فى الشطرة الثانية.. الترتيب البسيط هو: «الصُورُ فى الخدور، إذا باغتمها». ولكن ترى (بهذا الترتيب الذى قدما به المبتدأ (الصور) ثم جاء المتعلق بالخبر (فى الخدور) ثم جاء المتعلق بالخبر (فى الخدور) ثم جاء الشرط (إذا باغتمها..). - ترى أن جمال الشطرة.. ضاع، وأن إحكام التركيب تفكك، وأن الكلام أصبح نثرًا رديئًا. ولكن فى حالة ترتيب الشاعر للشطرة.. جاء الكلام مُحكمًا؛ فقد قدم متعلق الخبر (وفى الخدور) لأهميته، لأن النساء مسافرات، والشاعرُ يحبهن لأنهن مُنعمات. ويريد أن يسبق إلى ذهن المتلقى أن هؤلاء النسوة منعماتُ، لا يمشين على أرجلهن وإنما هن على الظعائن، وفى الخدور أيضًا، أى: لكل منهن خدرٌ على ظهر الناقة يقيها من الحر والبرد، ومن نظرات المتطفلين، فهن منعماتُ مصوناتُ. ثم.. قدم الشرط (إذا باغتمها) قبل المبتدأ (الصور) ليُشعرك أنهن لسنَ سوقيات يثرثن مع الغادى والرائح، وإنما هن متعززات لا يكلمن إلا من يهفوا قبله إلى جمالهن. ثم.. إن أصواتهن ناعمات، لأنهن حرائرُ منعمات، فأصواتهن - كبُعَامِ الأطباء.

٩- البنية العميقة، والبنية الظاهرة:

أما البنية العميقة والبنية السطحية فى نظرية، تشو، كما اصطلح على تسميتهما الدكتور العميرة.. فإنى لا أرى أن هذين المصطلحين.. دقيقان، وأدق منهما أن نقول: البنية الخفية والبنية الظاهرة^(١). لأن تسميتهما

(١) إن الترجمة الحرفية، من لغة إلى أخرى، تضرّ بالعنى والدلالة، لأن كل لغة لها ألفاظها التى قد تحمل ظلالا لا تحملها الألفاظ التى تقابلها -مقابلة حرفية - من اللغة الأخرى. ثم.. إن -العميق - حفى؛ لأن العمق عامل من عوامل الإخفاء. والكلمة.. يمكن أن يتطور معناها. أو أن يضاف لها معنى جديد -إذا كان بين المعنيين «علاقة» ما. وإن -السطحي - ظاهر - أيضًا، لأن الشئ السطحي.. مكشوف. والمكشوف.. ظاهر، فكلمة (الظاهر) هنا.. أليق، وأقرب إلى التأثير الإيجابى. لأن كلمة -سطحي - تحمل ظلالا سلبية.

بالبنية العميقة والبنية السطحية يعنى أن البنية الأولى ذات تركيب عميق، أما الثانية فهي بسيطة ساذجة ضحلة الدلالة، مع أن البنية الثانية هي صورة ظاهرية عملية للبنية الخفية الداخلية المجردة.. غالباً.. ولهذا.. فالتسمية التي اقترحتها هي أقرب إلى الصحة؛ فليس الفرق بينهما - غالباً - أن الأولى أجود من الثانية، بل الفرق بينهما فرق مكان؛ فالأولى كامنة في موضعها من الدماغ، والأخرى صيغة عملية منطوقة أو مكتوبة. ولهذا.. فلا مندوحة من أن نترجم (Deep) بالخفية و(Surface) بالظاهر.

ثم.. من حيث المعنى فلا جديد يعرضه هذان المصطلحان إذ هما يعيدان ما قيل سابقاً في الرقم الأول. وهو أن البنية الخفية كما سميتها، هي الخلايا التي تستقبل اللغة، ثم يؤدي ورود اللغة إليها شيئاً فشيئاً إلى تخزينها وإلى نمو القوالب (القواعد والقوانين) في هذه الخلايا شيئاً فشيئاً - هذه القوالب التي تقاس بها صحة اللفظ أو خطؤه، وتقاس بها صحة التعبير أو خطؤه كذلك؛ إذ كثيراً ما يكون فيه انحراف - ما، عن قالب التعبير الخفى. لأن التطبيق والفعل يحملان مخاطر لا يحملها الكمون والسكون.

أما البنية الظاهرة.. فهي التجسيد العملى - المنطوق أو المكتوب - لما استقر في هذه القوالب. وقد يكون مجرد استرجاع لما استقر في تلك القوالب، وقد يكون «إبداعاً» يجرى على بنية هذه القوالب، ولكن بتشكيل جديد مبدع للمعاني والألفاظ، لأن هذه القوالب مرنة بحيث تسمح بالتدفق الجديد أو الفيض الإبداعي.. معنى وصوراً وتعابير، مع طريقة ضم للألفاظ، مُبدعة، تتناسب مع عمق الشاعر وتلونها.

وقوله: «.. فهو (الأداء) الوجه الظاهر المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة باللغة. ولكن هذا الوجه قد لا يحصل بينه وبين الكفاية تطابق تام،

فيكون فيه انحراف (خطأ) ناتج عن عوامل مقامية سياقية، أو ذهنية نفسية اجتماعية.. الخ».

١٠- تطابق البنية الظاهرة مع البنية الخفية - أو انحرافها:

.. أقول في قوله السابق: هذا الأمر تحدث عنه الجرجاني بقوله: «... فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه - إن كان صواباً - وخطؤه - إن كان خطأ - إلى (النظم)، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معانى النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغى له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا.. وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل - إلى معانى النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه»^(١).

أقول: إن اعتبار الجرجاني النظم - صحةً وفساداً - راجعاً إلى معانى النحو، أى راجعاً إلى القالب الذى تشكل فى خلايا الدماغ التى تخص اللغة - ثم.. وضعه النحاة على صورة قواعد، مستقاة من الكلام الفعلى يُماثل هذا الذى سماه تشو - البنية الخفية، لأن معانى النحو راسخة فى الخلايا المذكورة آنفاً^(٢).

(١) دلائل الإعجاز، ٨٥.

(٢) والجرجاني - كما أرى - لا يعنى (بمعانى النحو).. المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل والمفعول... الخ، وإنما يعنى.. المعانى النفسية-العقلية التى يعبر عنها بالألفاظ، فى سياق.. ويدل على صحتها، أو فسادها - بصحة التركيب، أو فسادها - متضمناً حركات الإعراب فى العربية الفصحى - فليست معانى النحو (وهى غير مصطلحات=

وصحة النظم وفساده ترجعان إلى معانى النحو أى: إن صحة النظم وفساده إنما هى الصورة القولية الظاهرة للصورة الخفية، أى: هى الأداء، كما عبر عنه تشو، (الاختلاف هو فى التعبير وليس فى المعنى المركزى). ومعانى النحو

(فى حالة الخفاء) هى الملكة الراسخة فى خلايا اللغة الكائنة فى الدماغ، كما أسلفنا. والجرجاني، لكى يوضح فكرته يورد نصاً -نسجله - تالياً - مثلاً شعرياً على جودة النظم، ثم بيتاً واحداً للمتنبى على فساد النظم - كما يأتى:

٢٩٧ - ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصيغة، وأن سبيل^(١) المعنى الذى يعبر عنه سبيل الشئ الذى يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أن محالاً، إذا أنت أردت النظر فى صوغ الخاتم، وفى جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذى وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة^(٢) =^(٣) كذلك محال إذا أردت أن تعرف/ مكان الفضل والمزية فى الكلام، أن تنظر فى مجرد معناه = وكما أنا لو فضلنا خاتماً على خاتم، بأن تكون فضة هذا أجود، أو فسه أنفس، لم يكن ذلك تفضيلاً له من

=النحو) إلا القواعد التى يحكم بموجبها على أن هذا التقديم للفاعل -مثلاً - جائز أو غير جائز، وأن هذا الجمع يناسب الفعل الذى سبقه أولاً يناسبه.. الخ ثم.. قد يعبر عن ذلك بمصطلحات النحو، أحياناً، كأن يقال: جاء هذا التعبير.. صحيحاً، أو جاء.. جميلاً، أو جاء.. خاطئاً، لأنه آخر فيه المبتدأ وقدم الخبر... الخ.

(١) الجرجاني - دلائل الاعجاز - ٢٤٥ - ٢٥٦ . ٢/٨٥ .

(٢) «ذلك» ساقطة من المطبوعة.

(٣) السياق: «فكما أن محالاً... كذلك محال»، وإنما باعد الجرجاني بينهما.

حيث هو خاتم = كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه، أن لا يكون تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام. وهذا قاطع، فاعرفه.

٢٩٨ - واعلم أنك لست تنظر في كتاب صنّف في شأن البلاغة، وكلام جاء عن القدماء، إلا وجدته يدل على فساد هذا المذهب، ورأيهم يتشددون في إنكاره وعيبيه والعيب به.

وإذا نظرت في كتب الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كل مبلغ، ويتشدد غاية التشدد، وقد انتهى في ذلك إلى أن جعل العلم بالمعاني مشتركاً، وسوى فيه بين الخاصة والعامة فقال: «ورأيت ناساً يبهرجون أشعار المولدين، ويستسقطون/ من رواها، ولم أر ذلك قط إلا في راوية غير بصير بجوهر ما يروى، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان. وأنا سمعت أبا عمرو الشيباني، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة، أن كلف رجلاً حتى أحضره قرطاساً ودواة حتى كتبهما. قال الجاحظ: وأنا ازعم أن صاحب هذا البيتين لا يقول شعراً أبداً، ولولا أن أدخل في الحكومة بعض الغيب لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً أيضاً. وهما قوله:

(لا تحسبن الموت موت البلي وإنما الموت سؤال الرجال)
(كلاهما موت، ولكن ذا أشد من ذاك على كل حال)^(١)

ثم قال: وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني، والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخفيف اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك. وإنما الشعر صياغة، وضرب من التصوير.

(١) دلائل الإعجاز - ٣٥.

مثل على صحة النظم^(١)

وصحة النظم وفساده ترجعان إلى معانى النحو أى: أن صحة النظم وفساده إنما هى الصورة القولية الظاهرة للصورة الخفية، أى: هى الأداء، كما عبر عنه تشو، (الاختلاف هو فى التعبير وليس فى المعنى المركزى)، ومعانى النحو (فى حالة الخفاء) هى الملكة الراسخة فى خلايا اللغة الكائنة فى الدماغ، كما أسلفنا. والجرجاني، لكى يؤكد نظرتة، يضرب مثلاً على صحة النظم، وآخر على فسادة. ومن أمثلته على صحة النظم التى تعنى اتفاق التعبير مع معانى النحو، أى: اتفاق البنية الظاهرة. مع البنية الخفية - قول البحرى:

«.. بلوْنَا ضرائبَ من قد نرى هو المرءُ أبدتْ له الحادثا
تنقلُ فى خُلُقَى سُودِدِ فكالسيفِ إنْ جئتُهُ صارخًا
فما إنْ وجدنا لفتح ضريبًا تُ عزمًا وشيكًا ورأيًا صليبا
سماحًا مُرَجَى وبأسًا مهيبًا وكالبحرِ إنْ جئتُهُ مُسْتثيبًا»

ثم.. يوضح جوانب الجمال فى الأدبيات فيقول: «أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله: (هو المرء أبدت له الحادثات) ثم قوله: (تنقل فى خلقى سؤدد) بتنكير السؤدد، وإضافة الخلقيين إليه. ثم قوله: (فكالسيف)، وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ، لأن المعنى.. لا محالة: فهو كالسيف، ثم.. تكريره الكاف فى قوله: (وكالبحر). ثم.. أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطاً، وجوابه فيه. ثم.. أن أخرج من كل واحد من الشرطين.. حالاً على مثال ما أخرج من الآخر، وذلك قوله:

(١) دلائل الإعجاز - ٢٥٥، ٢٥٦.

(صارحًا) هناك، و(مستثيياً) ها هنا؟ لا ترى حُسناً تنسبه إلى النظم ليس سببه ما عدت، أو ما هو فى حكم ما عدت». أقول [ق] (١) أى: ليس سببه إلا إتيان الكلام، حسب قوالب النحو الراسخة فى الدماغ، المتمثلة - هنا - بالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتكثير .. الخ. وهذه كلها.. معانٍ نحوية، أى: بِنْيَةٌ لغوية ظاهرة لبنية لغوية خفية (كامنة، ومتقوية، فى الدماغ). على أن هذه البنية الخفية قد رَجَّحها الانفعال الفنى الذى تعاونت فيه كل بنية الشاعر الحية. فَشَكَّلت بهيئة قادرة على إنتاج التعبير الأدبى، ومطوعة اهتزازات وجدان الشاعر، وتموجاته.

فساد النظم:

ومن أمثله على فساد النظم أى: انحراف القول الظاهرى - البنية الظاهرية - عن البنية الخفية، أى: انحراف الأداء عن الملكة (الفرق فرق اصطلاحات وليس فرق حقائق) - قوله: مثال ذلك قول المتنبى:

وفاؤكما كالرَّبْعِ أشجاه طاسِمُهُ بأن تُسعدا والدمعُ أشفاهُ ساجِمُهُ

أقول: ومع أنه لم يحلل البيت لكنه أورده مثلاً على فساد النظم. فلنورد ترتيب البيت دون انحراف (وفاؤكما بأن تسعدانى - أيها الصديقان - وتَهْتَمَا بأمرى كالربع.. كلما كان أكثرَ عفاءً كان أكثرَ جلباً للحرز، كما أن الدمع يشفى من الحزن إذا كثر انهماله).

وأقول، بمناسبة الحديث عن اعجاز القرآن - بأساليب متنوعة كما مر:

(١) [ق] - رمز للمؤلف : عودة الله القيسى.

- من الشاذ الموجه أن رجلاً عميلاً للسفارة الإسرائيلية..
كتب، مرة، ينكر على العرب أنهم يذهبون يقلدون في كتابة -المقالة
- الغرب، وهم -عندهم - المقالة النموذجية، منذ ألف وأربع مئة
سنة، ونَيْفٍ^(١) - أتدرى - ما هو دَسَّ السُّمِّ في الدسم-؟ أتدرى ما
هذه المقالة النموذجية؟ إنها.. (سورة الطلاق). إنها تحتوي على
مقدمة وعرض، وخاتمة. وهل المقالة غير ذلك..!! هكذا .. يدعى،
ويهرطق هذا العميل-!

- إن هذا الرجل المبدع (بل المتبدع) - الآتى بما لم تستطعهُ الأوائِلُ
- كما قال أبو العلاء المعرى (- رحمه الله تعالى) يريد من وراء ذلك
خيرَ الناس! ! يريد أن يسلل إلى من تخدعهم الكلمة الحلوة عن المرارة
السارية في عروقها.. أن القرآن الكريم - كتاب كغيره من الكتب،
يمكن النسخُ على منواله، والفعلُ كأفعاله-!، والقرآن.. معلوم بالضرورة
أنه لا يمكن تقليد جُمَلِهِ (وإنما يمكن اقتباس الجملة بحروفها فحسب)
فكيف بإمكان تقليد أسلوبه ومَنهجه في عرض ما يعرض - والجملة..
بسيطة بالقياس إلى الأسلوب والمنهج - المركبين؟!

- إن هذا الرجل يريد ما يريده أسياده من التقليل من شأن القرآن
الكريم-! وأنه مجرد - كتاب - كغيره من الكتب.. يمكن تقليده.
والذى يمكن (تقليده) يمكن مجاراته-! ذلك .. من أجل أن يَقْدَحَ في
النفس المسلمة الفتور نحو القرآن، ولكن يأبى الله تعالى.
إذن - القرآنُ الكريم، - عندى - يمكن الاستفادة من معانيه،
وأحكامه، ومن مبادئه، وتوجيهاته، وروحه، ويمكن الاقتباس منه.

(١) يمكن أن تقدم «نيف» على العدد، وهي عادة القدامى-أو- تؤخر، وهي عادة
المعاصرين.

ولكن، يستحيل تقليده، واستحالة تقليده تعنى استحالة استفادة البشر من أسلوبه، فى الجملة، والفقرة، وتتابع موضوعاته، ومنهجه فى عرض قضاياها.

- أما الذين يدعون قدرة البشر على الاستفادة من هذا الجانب الإعجازى فى القرآن.. فهم فريقان: - فريق.. حُرِّمَ من العقل القادر على التحليل - فيأخذ القضايا مُسَلِّمًا بها، أو - بغير تدبر وتفهم، حَسْبُهُ أنه فهمها، (أى القضايا) وبإمكانه أن يلقبها إلى الناس. أو - أن يفرغها على السورق. والفريق الثانى.. هم الدراويش - الذين يعتقدون أنك إذا قلت: (القرآن الكريم.. لا يمكن الاستفادة من جانبه الإعجازى اللغوى) فأنت تنتقص القرآن - حاشاه - بل أقول: الحق أنك بهذا القول تنظر إليه فى كماله البلاغى (= الإعجازى) الذى لا يستطيع البشر أن يصعدوا إليه. ومن أين - وكيف يصعدون، وهم لم يُعْطُوا الاستعداد أو القدرة على هذا الصعود؟^(١) - هم يصلون إلى كماله البلاغى.. إذا استطاعوا أن يصعدوا إلى جو السماء، وأن يصفقوا فيه - كما تصطف الطير، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ رَوَّأُ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْوَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ (الملك-١٩).

- معنى الآية أن الذى أودع فى الطير القدرة على الاصطفاف، فى جو السماء، وعلى قبض أجنحتها، من دون أن تسقط على الأرض هو الذى خلق هذا الطير - وهو الله تعالى. وإذ أودع فى الطير هذا التحليق

(١) وبهذا المفهوم الذى يجعل استعداد البشر قاصرًا - أصلًا - عن بلاغة القرآن .. يمكن توجيه - الصرفة - التى قال بها المعتزلة به، فى ليست - صرفًا - عن قدرة، فبلاغة البشر، هى فى حدود ما أعطوا من استعداد. ومن هنا .. كان رأى المعتزلة باطلا، لأنه جعل الصرفة، صرفًا عن مجازاة القرآن - خاصة.

فى السماء - ولم يُودعه فى الإنسان (ولا فى مخلوقات لا تحصى) فإن الإنسان يستحيل أن يُخلَق فى السماء، بوسائل شخصية. ولكن، قد يُخلَق (كما يخلق اليوم) بوسائل صناعية، مضافة لما أودع الله تعالى فى ذاته. وإذن - أما ترى أن هذا العميل يريد أن يدس السُّم فى الدسم؟

١١ - اختلاف ترتيب الألفاظ يؤدى إلى اختلاف المعنى:

وقول تشو الأخير الذى أورده الدكتور العمارة (بأنه قد ينطق بالبنية السطحية المتكلم حسب ترجمة عمارة لها).. مقدماً جزءاً من الجملة النواة على الآخر .. وهذا كله (حسب تعبير العمارة) لا يقدم ولا يؤخر فى المعنى الذى فى ذهن المتكلم أو فى الكشف عنه^(١).

أقول: قد تَعَدُّ تشو بهذا القول بعض العذر - لا كله - لأن تغيير ترتيب الألفاظ فى الجمل فى اللغة الانجليزية قليل، فهى، على الأغلب، ذات قوالب جامدة (أنماطية)، خلافاً للغة العربية ذات القوالب المرنة (النماذجية) غالباً^(٢)، ولكن الحق الذى لم يعبه - تشو - أن تغيير الترتيب يؤدى إلى تغيير فى معنى التعبير، وإن لم تؤثر فى (المعنى المركزى) أو الغرض، كما سماه الجرجانى أو المعنى (النواة) كما سماه تشو.. أقرأ ما يقوله الجرجانى عن هذا التغيير، الذى يقول: (لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها فى المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها)^(٣).

(١) فى نحو اللغة وتراكيبها، ٥٩

(٢) انظر: كتابى (رؤى - نحوية وصرفية - تجديدية) - مرجع سابق - فقيه بحث مستوفٍ عن الجمل الأنماطية - والجمل النماذجية. والفرق بينهما، ١/٨٦ .
٢١٧ - ١٥١ / ٢

(٣) دلائل الإعجاز، ٨٧.

إذن - الجرجانى كان أكثر وعياً - من تشو، ومن العمارة إلى أن تغيير ترتيب ألفاظ الجملة (وهو ما سماه تشو التحويل) يؤدي إلى تغيير فى المعنى، أو - فى تأثير المعنى على المتلقى - تأثيراً ملحوظاً. - والآن.. نورد مثلاً - للجرجانى - على أن اختلاف ترتيب الالفاظ يؤدي إلى اختلاف المعانى.

- ثم .. أقوالاً لى - باتجاه هذه المعانى ...

مرونة العربية^(١):

العربية من المرونة بمكان كبير، بحيث يمكن - التقديم والتأخير - فيها، فى الجملة الواحدة، أو السياق الواحد الذى يتكون من جملتين - يمكن ذلك.. لا عبثاً، وإنما لدواعى الدقة فى المعنى، بحيث يترتب المعنى على الورق، أو فى اللفظ، حسب ترتيب المعانى فى النفس - كما يقول الإمام^(٢) - عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) رحمه الله. ونقدم لتوضيح ذلك ستة أمثلة - كالاتى:

المثال الأول:

الله تعالى قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة - ١٧٩)، وقد ناقش هذه العبارة الإمام الجرجانى. وأنا أحل كلامى بدل كلامه، نظراً لصعوبة فهم كلامه على المعاصرين - لا لصعوبة فى اللغة - قديماً (فى القرن الخامس الهجرى)

(١) من كتابى [رؤى - نحوية وصرفية - تجديدية] ج٤/ ١٣ - ١٤٢.

(٢) الإمام الجرجانى - دلائل الإعجاز - ٥٥، ٥٦. نقلاً عن كتابى: (العربية الفصحى) - ٥١٥٢. ففيه مقارنة بين فلسفة اللغة عند الجرجانى، وابن خلدون - وناحوم (= نعيم) تشومسكى.

بل .. لأن الجرجاني كان يأخذ - بأسلوبه - بعلم الكلام. وعلم الكلام يؤدي - أحياناً - إلى اعتياص العبارة، والمعاظلة فى الكلام. وإلا .. فالجاحظ العظيم أقدم من الجرجاني، (توفى الجاحظ - ٢٥٥ هـ) بقرنين كاملين، ومع ذلك .. فكلامه يسيل - سيلاناً - كالذهب المصهور، وهكذا نأتى بالتحليل لهذه العبارة القرآنية.

- ولكن. نقدم لها بما يقصده الجرجاني من عبارة (معانى النحو) - كما يأتى:

معانى النحو - فى رؤية الجرجاني:

ثم .. إن الذين درسوا (دلائل الاعجاز) لم يتضح لهم، أو لم يوضحوا - بجلاء - ماذا كان الإمام الجرجاني يقصد بمعانى النحو وفروقه وأحكامه؟ أقول: الحق أن هذا الناقد - البلاغى الكبير.. لم يخلِّفه أحدٌ على منهجه هذا القويم - ما عدا الزمخشري - رحمه الله - الذى أفاد فى تفسيره (الكشاف) من منهج الإمام الجرجاني، إذ أبدى نظرات ذكية، فى إعجاز القرآن اللغوى. أجلٌ لم يخلِّفه أحدٌ. لأن النقد العربى (والفكر.. عامة) دخل، بعد الجرجاني فى غيبوبة، لم يُفَق منها حتى اليوم. وإن كانت إضاءات متناثرة.. قائمة - اليوم.

الإمام الجرجاني لم يقصد بمعانى النحو أن يأتى الكلام مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً، ومجزوماً، حسب قواعد الإعراب المعروفة.. وإنما قصد أننا نستطيع أن نفسر جمال الشعر، وإعجاز القرآن بالاستفادة من مصطلحات النحو، باعتبارها وسائل دالة كما تدل مصطلحات البلاغة. فالتغيير - عنده - لا يكون جميلاً، لأن الخبر - مثلاً - تقدم على

المبتدأ - إطلاقاً أو لأن الفاعل تقدم على الفعل (فأصبح في عرف النحاة مبتدأً....) .. على إطلاق القول. وإنما الكلام يكون جميلاً.. لأن الخبر تقدم على المبتدأ في موضع، تجمل العبارة فيه بهذا التقديم.

- كما أن التشبيه أو الاستعارة (وهذا .. هو رأي، ولم أجد في كتاب) لا يجملان، وإنما وقعا وإنما يجملان، إذا وقعا حيث يجب أن يقعا، إذ ليس المجاز أعلى من الكلام الموضوعي الذي لا مجاز فيه.. دائماً. وإلا .. لكان القرآن الكريم كله.. قائماً على المجاز - وهذا.. غير كائن - فدل هذا على أن المجاز يجمل في موضعه الذي يستدعيه، وأن الحقيقة تجمل في موضعها الذي يستدعيها. والقرآن - المبني على الحقيقة، أحياناً، وعلى هذا فالمجاز لا يتفاوت نظمه، ولا يتفاوت جماله - فالمجاز.. قبيح، في موطن يستدعي الحقيقة.. والحقيقة، في موطن يستدعي المجاز، غير معبرة.

وعلى هذا .. فإذا رأى الإمام الجرجاني أن عبارة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة - 179) أبلغ من القول المأثور (القتل أنفى للقتل).. فما ذاك - لأن قُدَمَ (متعلق الخبر «ولكم» على المبتدأ «حياة») - وإنما وقع هذا التقديم والتأخير. بل - لأن تقديم متعلق الخبر - هنا - جاء أبلغ من تقديم المبتدأ، كأن يقال: (حياة لكم في القصاص) - أو (حياة في القصاص لكم). أولاً - لأن تقديم النكرة (حياة) - ضعيف هنا، لأن النكرة - هنا - غير مفيدة. ولأن مجيء متعلق الخبر (لكم) بعدها، لا يعطيها بُعداً نفسياً مريحاً يستدعي هذا التقديم، ولا بُعداً في توسيع المعنى، ولا تستقر النفس

إلا عندما تأتي عبارة (فى القصاص) - وثانياً: لأن القارئ لا يتضح له مدلول واضح من قراءة العبارة، أو مدلول ذو معنى وقيمة فإن نفسه تكاد تكف عن متابعة المعنى (أو العبارة) - وتزهّد من المضي فى القراءة.. وقريب من هذا، ولكن، إلى أحسن، العبارة الثانية المقترحة (حياة فى القصاص لكم).

.. أما القول المأثور (القتل أنفى للقتل) - فهو يسد النفس من بدئه، إذ لا يرتاح المرء أن يسمع أول ما يسمع كلمة (القتل) ثم هى (أعنى العبارة كلها) لا تخلو من غموض، فلا بد من تفسير لها حتى يتضح معناها، والمقصود منها - طبعاً - هو أن قتل القاتل «يقلل حالات القتل، لأن الذى يفكر فى قتل آخر، ثم تسيطر عليه فكرة أنه مقتول بمن قتله.. يتراجع - غالباً - عن الإقدام على القتل».

أما عبارة القرآن ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩) - فهى تفتح النفس من بدئها: «ولكم».. ! وهل القسم الأعظم من حياة الإنسان إلا سعى نحو «لكم» لأن الإنسان يقبل على «لكم» فى المال والعيال والمنصب، والمرأة الصالحة الجميلة (كما أن المرأة تقبل على ذلك، وعلى الرجل الصالح الوسيم) - وباختصار.. يُقبل على «لكم» فى كل شىء يمثل اللذة والمتعة والمنفعة (حلالاً عند قوم، أو حراماً عند آخرين، أو مختلطاً فيه الحلال والحرام عند قوم بينَ بين) وحتى الاستقامة، وما يتصل بها من صلاة وصيام، وزكاة وحج.. فإن المرء يريد من ورائها اللذة والمتعة المدخرتين له فى الجنة، أى - يريد من ورائها «لكم»!

.. «ولكم» هي على نقيض «عليكم» التي تسد النفس، ويفرّ منها الإنسان، لأنها -غالبًا- ترمز إلى الألم والأذى. وإن كان الإنسان يحتمل الألم قليلاً.. لمتعة أكبر، مادية أو معنوية. كما في الجهاد، والاستشهاد. .. ولا أريد أن استرسل -من أجل الاختصار- وإنما يكفي أن أشير إلى أن كلمة «حياة» في عبارة القرآن.. يكون لها معنى واضح، وتكون كلمة يستقر عندها المعنى، فتحس أنها كالتنهاية المتوقعة في النعمة الموسيقية التي تشعرك بانتهاء الموجة الموسيقية. (طبعًا - هذا معنى تحليل الإمام الجرجاني، مترجمًا إلى لغة غير معقدة^(١)) - (وليس هذا نص كلامه) - لأن في أسلوبه سنخًا (سنخًا واحدًا) من الجفاف والتعقيد.

.. ومع أن عبارة القرآن هذه تحتاج إلى توضيح.. غير أنها أقرب إلى الأفهام من عبارة القول المأثور. ومعناها.. أن القصاص يؤدي إلى الحياة، لأن الذى يفكر فى القتل - (كما قلنا فى عبارة - القتل أنفى للقتل-) .. وهو يعلم أنه سيقبض منه بقتله.. يحجم غالبًا، عن الإقدام على قتل خصمه. ثم.. تظل كلمة «حياة» باعثة على إراحة النفس، واستبشارها، على عكس كلمة «القتل» التي تنقبض لها النفس، وتكمنّد.

المثال الثانى:

إن المثال الأول.. كان عن بلاغة التقديم والتأخير التي تكون -أحيانًا- (لا دائمًا) عندما يتناسب ترتيب الكلام مع ترتيب المعاني فى النفس. من غير أن يفسد جوهر المعنى، لو انعدمت الحركات. فى مثل هذا

(١) لأن لغة أصحاب علم الكلام.. كانت - معقدة - غالبًا - تعتاص فيها العبارة - وليس هذا التعقيد بسبب القدم، لأن الجاحظ العظيم كان قبل الجرجاني بأزيد من قرنين، ومع ذلك، كانت عبارته متدفقة، سهلة، سلسة - كما ذكرنا فى المتن.

الترتيب. أعنى: أن تقديم المؤخر، فى الأصل . وتأخير المقدم، فى الأصل. لا يكون بليغاً دائماً.

- وهذا المثال الثانى فهو قوله: ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة - 132] - وهذا المثال الثانى.. يفسد فيه جوهر المعنى. لو اندمجت الحركات - خلافاً للمثال الأول - كما سنرى - تالياً:

- لقد أحر القرآن يعقوب - عليه السلام - وهو فاعل إبراهيم - عليه السلام - أحره القرآن عن المفعول^(١) (بنيه).. وبذلك بانّت مزية النظم: إذ لو قيل: (ووصى بها إبراهيم ويعقوب بينهما) لكان فى التعبير غمطٌ لحق إبراهيم - عليه السلام - فإبراهيم أبو الأنبياء ويعقوب.. حفيده. فليس من حفظ المقامات أن يتبع يعقوب إبراهيم مباشرةً، وإنما من حفظ المقامات أن يؤخر الحفيد بعد المفعول. وبعد أن يتم المعنى، وأن يُقدّم الجدّ قبل المفعول. وبهذا يكون التعبير.. عادلاً، لأنه وضع كلاً من الرجلين فى موضعه. ومن هنا جاء جمال التعبير، لأنه اتبع منهج العدل.. والعدل توازن فى نظام الأشياء. والتوازن جمال لا يعلوه جمال. إن الأخذ بالتعبير البسيط فى سورة (العصر) كان سبب الجمال والروعة^(٢). وإن التقديم والتأخير فى آية (البقرة) كان سبب الجمال والروعة لأن كلاً من التعبيرين وقع موقعه الملائم؟.

(١) فضلت أن أكتفى بكلمة (المفعول) من غير أن يلحقها (به) - لأن اصطلاح النحاة هذا ليس دقيقاً، (فالمفعول به) هو الذى يفعل به. فإذا قيل: (سجد ذكر الحمام الحمامة) كانت الحمامة (مفعولاً به) - حقاً. أما إذا قيل: قطف المزارع الثمر (فالتن) ليس مفعولاً به. وإنما هو (مفعول). فحسب.

(٢) انظر: لاحقاً - المثال الرابع: البلاغة قد تكون فى الترتيب البسيط للعبارة.

- بل .. أرأيت أنه لولا الحركات - هنا - لالتبس المعنى . أو .. فسد ، فلو جاء (سَبُّكُ) العبارة بلا حركات ، ولكن ، على نفس الترتيب الذى جاءت عليه (وكلماتها على أواخرها الحركات الملائمة) [كما هو فى الترتيب السابق القرآنى] أَجَلٌ.. لو جاء بلا حركات لفسد المعنى . لأن المعنى سيكون: (ووصى بها إبراهيم بنيه - ووصى بها إبراهيم يعقوب كذلك). وليس هذا المعنى هو الذى أرادَه القرآن الكريم. وتحريف المعنى أو.. فساده.. خلل - والخلل.. ضد التوازن - فالخلل.. ضد العدل. وضد العدل.. ظلم؟ والظلم . أقبح.. ثم .. إننا لو رتبنا هذه العبارة الترتيب البسيط لَفَقِدَ العدلُ ، فاختل التوازن . وباختلال التوازن يذهب الجمال . ويحل محله خلل ، أو .. قبح . إن الترتيب البسيط يجعل يعقوب يأتي . بعد إبراهيم ، مباشرة . وبهذا لا تُحفظ الرتبة ، فيكون الخلل . والترتيب البسيط يكون هكذا : (ووصى بها إبراهيم ويعقوب - بنيهما).

النتيجة : (الجمال فى التقديم والتأخير - أحياناً) :

- أرأيت أن التقديم والتأخير ، فى هذه العبارة القرآنية أعطاهما من الجمال ما لا يكون فى الكلام ، لو جاء الكلام حسب الترتيب البسيط للكلام ، من غير تقديم أو تأخير ، وبهذا الترتيب البسيط لو كان تفقد جمالها كما ترى .

- وذاك المثال الأسبق أعني : قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ أَلْبَابٍ لِّعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧٨) لا تبدو فيه أهمية حركات الإعراب من حيث الدلالة على المعانى . ولكن ، تبدو فيه أهمية حركات الإعراب ، من حيث أنها أعطت العربية الفصحى (مرونة) فى

التقديم، والتأخير، بحيث تترتب الألفاظ على الورق، أو فى المشافهة، حسب ترتيب المعانى فى النفس.. وهذا أوجز استعمال للغة، وأبلغ استعمال لها. (ولكن، لا يوجد مثله -وبنفس المرونة - فى كل اللغات الأخرى، لافتقارها إلى حركات الإعراب) (١).

المثال الثالث: (حول مرونة العربية - والحركات للسواكن، واطراد النسق)

- ولكن هذا المثال السابق.. تبدو -فيه - أهمية -حركات الإعراب - بدوًا واضحًا - بحيث لا تجارى، العربية الفصحى - به - لغة أخرى، على الإطلاق - فهو أحد «تكنيكات» البلاغة العالية.

- وهذا المثال السابق هو قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَعْقُوبَ بْنَبِيٍّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة - ١٣٢).

عبارة: (أكلونى البراغيث):

- ثم .. أبعدُ من ذلك من (فصحى النثر) عبارة البدوى الذى حل ضيفًا على صديق له، فى قرية، فنهشته البراغيث - التى لم يعتد على نهشها، فقال: (أكلونى البراغيث).

.. وأنقل ما كتبته عنها فى كتابى: (العربية الفصحى...)(٢) - مع فائدة (مقتضبة)، أنقلها من كتابى نفسه فيها مقارنة مختصرة عن التنعيم فى الإنجليزية وما يغنى عنه، وزيادةً، فى العربية،

(١) ملاحظة: لقد كانت اليونانية القديمة - معربة. ولكن اليونانية الحديثة.. فقدت الإعراب.

(٢) العربية الفصحى - ٦٢ - ٧١.

عن طريق التقديم والتأخير - التي لا تستطيعه لغة أخرى غير العربية، بسبب افتقار اللغات الأخرى إلى الإعراب. [سأورده - لاحقاً - تحت عنوان: (الكاتب خلط بين نوعين من التعابير).

المثال الرابع: البلاغة.. قد تكون في الترتيب البسيط للعبارة

تكون البلاغة العالية في نظم الكلام (-ترتيبه) حسب الترتيب البسيط - أحياناً - أى: يأتي فعل ثم فاعل ثم مفعول. وقد تكون في نظمه بطريقة يقع فيها التقديم والتأخير - كما سلف - فإذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر-١]، فإن الكلام ترتب ترتيباً بسيطاً: (الشرط «إذا» ثم الفعل «جاء» ثم الفاعل «نصر الله». ثم جاء الجواب: فسيح). فهذا ترتيب بسيط. ولكنه الغاية في الروعة، أولاً - لأن هذا الترتيب البسيط، جرى على أساس تساوق المعانى وترتيب - تأثيرها - فى النفس البشرية. (أقول: ترتيب تأثيرها) لأن الكلام ليس نابعاً من النفس البشرية وإنما هو كلام الله تعالى.

المثال الخامس: العربية تعتمد الحركات للتفريق - أحياناً

- الدكتور عمايرة يرى أن العربية تفتقر إلى التنغيم - خلافاً للإنجليزية - التى تهتم بالتنغيم. وإنى أوضح الأمر - بثلاثة موضحات - تُبين أن العربية مستغنية عن التنغيم، كثيراً.

الأول: أن العرب أساساً اعتمدوا على اللغة المنطوقة (لا كما يقول المؤلف) لأن الكتابة، أصلاً، كانت شُبّه معدومة عند العرب قبل الإسلام. ومن المعروف أن اللغويين جمعوا معظم اللغة من الفصحاء فى المدن والبادية، من خلال المشافهة. من خلال الصوت - والصوت.. بطبيعته تنغيم.

والثانى: أن الغربى يلجأ إلى - التنغيم - للتمييز بين معنى وآخر للتركيب الواحد. لأن اللغة الانجليزية - مثلاً - لغة نمطية. أى: جامدة التركيب.. غالباً. فليس أمام الغربى إلا التنغيم. ليجعل الجملة الواحدة تعبر عن غير معنى واحد. أمّا العربى فأمامه للتعبير الواحد أكثر من صياغة واحدة. وذلك يجعله يستغنى - إلى حد ما - بتنوع الصياغة عن تنوع التنغيم. ولا شك أن جمود التعبير وتنوع التنغيم قصور فى اللغة. وأن تنوع الصياغة للتعبير الواحد يُعدُّ غنىً فى اللغة. عندما يعبر كل تنوع عن ظلال للمعنى تختلف عما فى الوضع الآخر ذى المعنى المختلف. ولو قليلاً.

خذ مثلاً فى الانجليزية هذه الجملة:

If Jim Hadn't Lent Me The Money. I Wouldn't Have Been Able To Buy The Car.

فأنت لا تستطيع أن تقدم (Jim) على (IF) ولا (hadn't) على (Jim) ولا (the money) على ما سبق. ولا (to buy the car) على (I wouldn't).

بينما كل هذا.. ممكن فى العربية. نقول: (إذا - جم - لم يقرضنى النقود.. فلن أكون قادراً على شراء السيارة). ونقول: (إذا لم يقرضنى - جم.. أو (جم إذا لم يقرضنى...)) أو (النقود إذا لم يقرضنيها جم فلن أكون قادراً على شراء السيارة.. أو - لن أكون قادراً: على شراء السيارة إذا لم يقرضنى - جم).

أهذه اللغة التى هى بهذه المرونة الفائقة.. أفى حاجة إلى أن تعتمد على التنغيم اعتماداً كبيراً؟ ثم .. إن كل تغيير فى التعبير يؤدى إلى

تغيير فى المعنى . حسب نظرية عبد القاهر الجرجانى فى -النظم -
أى: تغيير ترتيب الألفاظ فى العبارة، هو المقصود بالتغيير. حسب
ترتيب المعانى فى النفس.

والثالث: أن التنعيم المتنوع للعبارة الواحدة فى الإنجليزية.. جعل
فيها شرحاً بين المنطوق والمكتوب، لا يمكن رآبُهُ^(١)، لأن حروف كثير من
الكلمات جاءت بناءً على تنعيم واحد، وأضحت مفارقةً لأنواع التنعيم
الأخرى للكلمة نفسها، ولكى يتغلب الإنجليز والأمريكان على ذلك..
يحاولون أن يكتبوا الكلمة فى معاجمهم مرتين: مرة، تبعاً للصورة التى
كانت عليها الكتابة، أيام كانت تنطق نطقاً مُعيناً قبل عدة قرون. ومرة
بين قوسين تبعاً لما تطور له النطق فى الحاضر. حذ مثلاً.. (Emulate)
ومعناها: تشبه به، لفظها المكتوب (إميوليت)، ولكنها تلفظ هكذا، كما
كتبت بين شرطتين //Emuleit!!! ولفظها: (إمجوليت)، ولفظها
الحرفى (أميولاتى)!! - إذا نطقنا كل حروفها.

حيض بيض:

- هم واقعون فى (حيض بيض) -! - يعزّ عليهم أن يطرحوا
الخط القديم، وأن يكتبوها (وكذلك جل لغتهم) كما ينطقونها، حسب
الحروف التى بين شرطتين. وهم غير قادرين على إعادة أصواتهم كما
كانوا عليه من قبل قرون أو عقود!

- ونحن ننتق كما نكتب -على الإجمال - نكتب كما ننتق،
بفضل القرآن الكريم - الذى .. أخذ علومه، (علم التجويد)، الذى
حفظ الصوت العربى نقياً فى الفصحى كما كان فى الجاهلية، وكما

(١) رآبُهُ: شك فيه.

نزل به القرآن الكريم على قلب رسولنا -محمد صلى الله عليه وسلم - بنطقه بلسانه الشريف - هذا النطق الذى أخذه عنه الصحابة -رضى الله عنهم - بالمشافهة. ثم أخذه التابعون عن الصحابة - بالمشافهة - كذلك. وهكذا ينتقل صوت الحروف من جيل إلى جيل بالمشافهة حتى يوم الناس هذا.. بل حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، دون تحريف.

- أنعدل - إذن - عن تنوع التعبير إلى التنغيم، لأن الغرب ينغم، والتنويع.. باقٍ ثابت، ومن طبيعة لغتنا، والتنغيم متغير لا يستقر على حال، مما يجعل.. منحى الصوت متغيراً، يغير اللغة، فتنتقل مع الزمن إلى لغة أخرى - أصواتاً وتركيب حروف.. فتتغير اللغة، أو تنحرف عن أصولها، وهذا.. نجت منه العربية - التى تماثل ألفاظُ فيها ألفاظُ القرآن. ثم.. أنتبع تنغيم الجزيرة العربية، على تعدده، أم مطّ الصوت الشامى أم خطفه في اللهجة المصرية، أم انحباسه ثم اندفاعه في المغربية؟ أم تحمّل كل هذه البيئات على تنغيم أهل مكة فنكلفهم ما لا يطاق؟ - ونكلفهم ما ليس فى الطبع، -بسبب اختلاف البيئات -!

المثال السادس: (أكلونى البراغيث) - الذى أشرنا إليه - سابقاً:

ومع ذلك.. فالتنغيم -بحدود - موجود فى العربية - كما فى الاستفهام والتعجب والأمر.

- ويقول الدكتور عميرة: (ولعل فى هذا.. ما يفسر لنا، بوضوح، اتساق لغة - أكلونى البراغيث - مع اللغة العربية السليمة. ولا يحول دون قبولها، مع كثرتها فى كتب التراث، ومع وجودها فى القرآن

الكريم وفي الحديث الشريف قال تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧١) (المائدة - ٧١) ويقول: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ (٢) (الأنبياء - ٢)، وجاء في الحديث: «يتعاقبون فيكم - ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» (ص-١٩٢).

الكاتب خلط بين نوعين من التعابير^(١):

- أقول: أولاً - لم يأتِ الكاتب - الدكتور خليل عميرة، بجواب على هذه العبارة: (ولا يحول دون قبولها، مع ...) وهو غالباً... [إلا أن النحاة اعتبروها شاذة ساقطة].

- وثانياً: خلط الكاتب بين نوعين من الاستعمال: الأول: (أكلوني البراغيث). والثاني: «لا هية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا:» هل هذا إلا بشرٌ مثلكم أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون». فعبارة (أكلوني البراغيث) تختلف اختلافاً جوهرياً، عن عبارة القرآن. لأن (البراغيث) لا يستعمل معها (واو الجماعة) في اللغة - عادةً، كما لا تستعمل مع كل جمع مذكر لغير العقلاء، إلا لغاية البلاغة، وإنما تستعمل مع العقلاء فقط. - وهنا نقول: لا يجوز أن أقول: (أكلوني - اللصوص) قياسياً على الآية السابقة بدون غاية بلاغية، أما الآية فاستعمالها صحيح، لأن (الواو) ترد مع العقلاء (الذين ظلموا)، ولأنها جاءت لغاية بلاغية.

(١) انظر: كتابي = (العربية الفصحى...) - ١٤٠ - ١٤٥.

- يَبْدُ أنى لا أوافق الكاتب إذ يقول: [فما كانت الواو فى «أكلونى البراغيث» إلا لتوكيد الفاعل] ص ١٩٣ - بعد أن أجرى عددًا من صور التحويل على العبارة التى تبدأ بقوله: (أكل البراغيث هم إياى) - . أقول: لأن التوكيد لم يرد فى العربية سابقًا المؤكد -بفتح الكاف- وتحويلات هذه -إلى جانب خطئها - أكثر تعقيدًا من (علل النحو) التى اعترض هو عليها، يقول المؤلف: (فتكون الجملة التوليدية التى تتضمن المعنى القريب (أكل البراغيث إياى) -VOS- تتحول الى: (أكل البراغيثُ البراغيثُ إياى - VSSO) أو: (أكل البراغيثُ إياى إياى)، فالتحق الضمير بالفعل، ولكن برسم آخر، وهو -الواو- التى هى لاحقة تعبر عن (البراغيث إياى)، ثم جرى فى الجملة تحويل آخر، طبقًا لقواعد النحو التحويلي، فأصبحت: (أكلونى البراغيث) بإضافة نون الوقاية التى لها وظيفة صوتية، نص عليها علماء العرب فى كثير من أعمالهم. فما كانت الواو إلا لتوكيد الفاعل فى هذه اللهجة) ص- ١٩٢ . انتهى كلام العمارة.

- بالله عليك: هل صحيح أن ذهن العربى البدوى الأمى، يتسع لكل هذه التحويلات المعقدة؟ وإذا اتسع.. أتظن أن أحدًا يطبق أن يتعلم لغة - بعض عباراتها تمرّ بكل هذا التعقيد، ولو كان هذا الأحد هو الخليل ابن أحمد الفراهيدى، فى القديم.. صاحب العقل الرياضى العبقري. أو آينشتاين فى الحديث.. صاحب النظرية النسبية؟!

- بلى، لا أوافق، لأن التوكيد لم يرد سابقًا للمؤكد - كما أسلفنا - ولأن الواضح لا يؤكد بالغامض. إن الضمير غامض. والاسم واضح. فلا يمكن أن يؤكد الضمير (= الواو) الاسم الظاهر.

- وخلاف هذا.. ورد في القرآن الكريم. ووروده -فيه - دليل على

فصاحته - بل.. على علوه بالفصاحة. إذ إن لغة القرآن

(= كلام القرآن - أصح لغة. قال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

توازيها عبارة (يتعاقبون فيكم) في قول رسولنا المعصوم: [يتعاقبون فيكم - ملائكة بالليل - وملائكة بالنهار] وعبارة (الذين ظلموا) -

توازيها كلمة (ملائكة). خاصة أن عبارة (الذين ظلموا) توازيها - من ناحية المعنى العام [لا من ناحية بلاغية] - كلمة (الظالمين)

- أى - كأن العبارة هكذا - والله المثل الأعلى - (وأسروا النجوى -

الظالمون).

أكلونى البراغيث - مرة أخرى:

- بل .. ها هنا ما هو أبعد. فى إنكار النحاة له. بأن - جعلوا

عبارته تشنيعاً على الذى يستعمل مثل هذا التكريب السابق. وهى:

(أكلونى البراغيث). والحق -أنها عبارة صحيحة. عندما يراد منها

-المجاز والبلاغة - المجاز الذى ينتال.. نتيجة التأثير العميق للمتحدث

الذى ينبع من الشعور - واللاشعور. فهى عبارة - بلاغية - وليست

عبارة نثرية عادية.

أما إعراب (البراغيث). فالحق عندى أن (البراغيث) فى هذه العبارة

هى - أحدُ ثلاثة إعرابات: هى (خبر) لبتداء محذوف. تقديره فى

نحو اللغة: (هى). فى جملة استفهامية مضمرة يستدعيها السياق.

فعندما قال: (أكلونى).. تنبه إلى سائل قد يسأل: (ما الذين أكلوك)؟

فكان جوابه: البراغيث.. أى: هى البراغيث. أو البراغيث هى توكيد

أو توضيح (= بدل)، أو هي منصوبة على الاختصاص. فهذه ثلاثة إعرابات ممكنة.

- أما لماذا لا تصح (الواو) مع البراغيث أصلاً، -عند النحاة، ولا يصح هذا النوع من الاستعمال، لغةً معتمدةً.. وإنما صحت هنا- عندي؟ فذلك.. لأن الأعرابي استعمل (الواو) استعمالاً مجازياً.. (من باب الاستعارة التصريحية)، فلما أكثر البراغيث لدغته كبرت في إحساسه حتى صورها رجالاً يُقرصونه، فقال مُلهوَجًا: (أكلوني) ثم تنبه أن ليس من رجال، فأردف: البراغيث، أى: هي البراغيث، ومع أن هذا التحليل طويل في الكلام «غير أن العبارة الأصلية والجواب يلمعان في ذهنه في طرفة عين».

وقريب من هذا التعبير ما ورد في القرآن الكريم. قال تعالى عن الكافرين: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت - ٢١). فجاءت - الواو - مع (قالوا) لأن الجلود خوطبت خطاب العقلاء.

قضية بلاغية - لا نحوية - أصلاً. ولكن، يقرها النحو:

- إذن.. القضية هي قضية بلاغية أصلاً، وليست قضية نحوية، ومع ذلك.. فصدر اللغة يتسع لمثل هذه التغييرات اللغوية التي تقتضيها حاجات بلاغية. لأن اللغة ذات منطوق مرن. فهي (أى - اللغة العربية) تعي أن دورها الحقيقي - الوظيفي هو: أن تعبر عن معاني العقل، وعن خلجات النفس، ولهذا.. فهي ترى من وظيفتها وواجبها أن تكون مستعدة.

للتعبير عن كلا وجهى حياة الإنسان. أما تراها اتسعت لتفهم العقل الكلى والوجدان الكلى - المتمثلين فى القرآن الكريم - أولاً، وفى الحديث النبوى الشريف^(١) - ثانياً؟

١٢- الجمل - كلها (توليدية - أى - أصلية) فحسب:

- وإنه لحَسَنٌ - قبل الختام - أن نقف عند مصطلحى (الجملة التوليدية - والجملة التحويلية) - هاتين الجملتين اللتين شغف بهما الدارسون العرب المحدثون، فأصبحتا ملح دراستهم النحوية، يحشرونهما حشراً، أحياناً، لكى يدللوا على أنهم عصريون؛ فهم على إطلاع على نظرية - تشو - فى النحو، وتكوّن اللغات-! . وهل بعد الاشتراب من نبع - تشو - اظطماء، أو حاجة إلى ماء السماء! .

- اصطلاحاً - تشو - هاذان.. خاطئان. فليس فى الجمل - فى كل اللغات - جمل توليدية، وجمل تحويلية، - خلافاً لما قال تشو^(٢). أو جمل أصلية وجمل فرعية، - خلافاً لما قال النحاة العرب، حتى المعاصرون منهم. - وإنما كل الجمل «توليدية» أى - كل الجمل أصلية. وليس فى اللغات جمل تحويلية - أو فرعية، فذلك الفهم المنحرف..

(١) فى كتابى المخطوط (العصمتان) سبق تحليل كامل للقاء بين الفكر الكلى والفكر الجزئى - فى الجزء الأول.

(٢) قد يكون مصطلحاً - تشو - لا يعبران عن معنى : الجملة البسيطة، والجملة المركبة - وإنما قصد أن الجملة التى تنبثق على لسان المتكلم - سواء أكانت بسيطة - أم مركبة - هى جملة توليدية. والجملة التى تتحول من هذا الترتيب إلى ترتيب آخر هى جملة تحويلية. فليس لقوله هذا - قيمة - بلاغية. بل هو مجرد تعبير عن أن الجملة ذات الانبثاق الأول على اللسان قد يتولد منها أنواع أخرى من الترتيب. وهذا .. تصور يلامس - البيديهيات.

ناتج عن التصور «النظري» للغات، مع أن الأمر الطبيعي والمعقول أن ينظر للغات، حسب تكونها التاريخي الطبيعي، وحسب واقعها القائم في الاستعمال.

- الذين قالوا: إن في اللغات جملاً توليدية، وأخرى تحويلية - أو أصلية وأخرى فرعية.. إنما كانت رؤيتهم - تنظيرية ساذجة، إنهم اعتقدوا أن الجملة التي تجرى مع التفكير العقلي البسيط هي الأصل. لأنها تأتي بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول. أما الجملة التي تخالف هذا الترتيب - في رؤيتهم فهي جملة فرعية أو - معدولة. وإن.. هذا النوع من الجمل.. جاء متأخرًا، لأن الحياة - في رأيهم - تنتقل من البسيط إلى المركب (أقول: وهذا.. صحيح، كثيرًا، وليس دائمًا). والجملة التي تأتي مبتدئة بالفعل ثم الفاعل، ثم المفعول^(١) - هي جملة بسيطة. أما التي يتغير فيها هذا الترتيب، كأن تبدأ بالفاعل (الذي يسمى حينئذ.. مبتدئًا)، ثم.. الفعل.. ثم.. المفعول - فهي جملة معقدة.

- إذن.. الجملة البسيطة - في رؤيتهم - (توليدية، أو أصلية) والجملة المعقدة (تحويلية أو -فرعية). أقول: وهذه رؤية «نظرية» تطفو فوق سطح اللغات. ولا تغوص في أعماقها.

(١) ذلك.. لأن التصور التنظيري للكلام يقول: لا بد لكل فعل من -فاعل - ولا بد أن الفاعل يجب فعله على شيء - ما. وإن.. يأتي الفاعل (وهنا يسمى في اصطلاح النحاة مبتدئًا) ثم الفعل، ثم المفعول. أو - إذا قدم الفعل (ولهذا.. فلسفة معينة) جاء بعده فاعله. ثم جاء مفعول للفاعل. وهذا.. تصور تنظيري لا يضع في حسابه - انفعال النفس، وجيشانها الذي يحطم هذا الترتيب البسيط، ويأتي بترتيب مركب - قد يسبق (بل - يسبق، في الزمن) التركيب البسيط. لأن العاطفة كانت نامية. قبل العقل. ولكن من غير أن نعكس من غير أن نقول: الجملة المركبة (أصل). والجملة البسيطة (فرع). بل - كل طراز من الجمل هو أصلي في ميدانه وغير سابق للأصل الآخر.

- فالجمل فى اللغات كلها.. توليدية، أى: أصلية - ليس غيرُ! - ذلك، لأن الإنسان فى تطوره اللغوى -المنبثق عن تطوره الحضارى - لم يبدأ فى مرحلة كاملة (ليكن عمرها مئة سنة. أو مئة ألف سنة) بالتكلم بالكلام العقلى الفكرى الخالص، ثم.. تبعتها مرحلة أخرى - طُولُها كطول المرحلة السابقة - تكلم فيها بالجمل المعدولة التى هى نتيجة جيشان الوجدان (= العاطفة، والأحاسيس). هذا.. تصور خاطئ. فالصواب (إذا كان لا يد من تقديم مرحلة على أخرى) أن الإنسان بدأ بالنوع الثانى من الجمل التى سموها (التحويلية، أو المعدولة) - لأن الإنسان بدأ حياته بداية «عاطفية» لأنه كان يحس -باندهاش. وأحياناً، بانشداه - أمام ما يفاجئه من عوامل الطبيعة. وموجوداتها. ومن غوامضها. فكان يعبر عنها -انفعالياً - والتعبير الانفعالى. سواء أكان بكلمتين اثنتين فقط، أم كان بمئة جملة. لن يأتى تبعاً للترتيب العقلى الخالص للمعانى الذى يأتى الترتيب اللفظى عنه بسيطاً ومطابقاً له، وإنما يأتى التعبير الانفعالى تبعاً لتموجات العاطفة، فيقدم فيه المفعول أحياناً يليه الفعل أو الفاعل - وأحياناً يقدم الفاعل ثم الفعل، ثم المفعول.. الخ - كما رأينا فى بيت الأخطل.

١٣ - طبيعة الشاعر:

- وهذا.. واضح فى الشعر الذى يعتمد - بالدرجة الأولى إلى التاسعة، على العاطفة، ويعتمد، فى الدرجة العاشرة فقط على العقل، فليس الشاعر إلا شخصاً عواطفه الفنية محتفظة بصورتها (البدائية)، ولكن مصقولة. ولهذا.. فأنت تراه يخالف الترتيب البسيط للجملة، كثيراً،

وأكتفى -للتدليل - بأن نعود إلى ترتيب الأخطل لبيته السابق - لكى لا نطيل بعرض مثال، وتحليله - هذا البيت الذى بدأ لنا فيه التقديم والتأخير، بما يتناسب وعاطفة الشاعر. لا بما يتناسب والترتيب العقلى الخالص. وأن نعود إلى ترتيب القرآن الكريم - للآية: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾.

- إذن.. على أحسن تقدير، واحترامًا لتعبير العقل الذى نما عند الإنسان مع الزمن. حتى أصبحت معظم مجالات التعبير، فى الحضارات، من نصيبه -يمكننا أن نقول: إن التعبير العاطفى (الذى سَمَّوْهُ -خطأ - تحويليًا. أو -معدولًا).. أصل. لا شك فى ذلك. وإن التعبير العقلى.. أصل أيضًا.

- ولكن الدقة الواقعية تقرر أن الجمل الشاعرية (=العاطفية) سابقة للجمل العلمية (=العقلية). بيد أن ذلك.. لا يعنى أن الجمل الشاعرية توليدية. والجمل العلمية تحويلية. كل منهما جملة توليدية (=أصلية) لأن مصدرها يختلف عن مصدر الأخرى - ولأن كلا منهما لم تقترض فى (بِنْيَتِهَا) شيئًا من الأخرى. مع مساعدة يسيرة تأتى من المصدر الآخر. فى الجمل العقلية.. لا بد من حفز من العاطفة للعقل. وفى الجمل العاطفية.. لا بد من إضاءة من العقل تنير طريق العاطفة.

- وبهذا.. يكون واضحًا لنا أن الزعم بأن الجمل منها جمل توليدية، أو - أصلية. وأخرى تحويلية، أو - معدولة.. زعم نظرى، لا أساس له من الصحة الواقعية التى يقدمها لنا تاريخ تطور الإنسان - المتصل به. والمتصاقب معه تاريخ تطور اللغات - القائم على «تنوع» الجمل.

فى كل مرحلة ما ببن جملة عقلية - وأخرى عاطفية، وليس على نوع واحد من الجملة، خاصة بعد أن نما عقل الإنسان، وأضحى يعبر عن مطالب حضارية للإنسان - إلى جانب المطالب العاطفية التى تولدت بولادة الإنسان.

- وإذن.. يذهب نصف نظرية -تشو - اللغوية، مع الريح. ويذهب كل ما قاله النحاة العرب منذ الخليل ابن أحمد - وسيبويه (رحمهم الله تعالى) حتى هذا اليوم - فى موضوع الجملة الأصلية، والجملة المعدولة - أدراج الريح.

ولكن.. يمكن التفريق بين نوعى الجملة - بأن نقول: جملة بسيطة - وهى التى تتوالى فيها الألفاظ بتركيب نحوى بسيط: فعل - فاعل مفعول. أو - مبتدأ - خبر. أو فعل - فاعل - حال - وهكذا.. «وجملة مركبة.. وهى التى يتغير فيها الترتيب - مثلاً: فعل - مفعول - فاعل - أو مفعول - فعل - فاعل - أو - مبدأ - فعل - فاعل - أو - مبدأ - فعل - فاعل.. الخ.

والتمثيل عليها بالترتيب هكذا: الجملة البسيطة: - أصاب المجتهد خيرًا - المخلص.. موفق - عاد المسافر، ركبًا طائرة [طائرة.. مفعول لاسم الفاعل].

الجملة المركبة: أحسن صلاته سعيد - صلاته.. أحسن سعيد - محمود - جاء، يركض.
«النوع الأول - يكثر فى مجالات العلوم والفكر والنقد.. والنوع الثانى - يكثر فى مجالات الأدب.

نتيجة:

- أرايت - أخى العربى - أن - تشو - هذا الذى أصبح شعاراً يُزِينُ به النحاة العرب المعاصرون. ودارسو النحو.. كتبهم.. وكأن ما جاء به هو الحق الذى لا يعتريه باطل! - وكأنه الجديد الذى هو أبو عذرتيه. ومفترع عذرتيه-!. - لم يأت بجديد بذكر-! - فأين - أنتم - أيها النحاة الفضلاء من عالمين الكبيرين - هما: الإمام الجرجانى. والمفكر ابن خلدون اللذين سبقا - تشو - بقرون متطاولة؟ أم أن المغلوب مولى -أبدأ - بتقليد الغالب - كما قال جدنا العظيم - ابن خلدون؟! يرحمه الله تعالى. فمتى نوقن أننا أمة ذات كنوز - معرفية - سبقتوا بها الغرب. فى مجال الفكر الإنسانى - الأخلاقى - وفى مجال الفكر اللغوى؟ متى - ومتى؟.

تلخيص

وأخيراً.. نلخص ما سبق من النوع الثانى. من القسم الثانى. وهو.. المقارنة بين العباقره الثلاثة - فى رؤيتهم للغة - فى النقاط الثماني الآتية:

١ - مصطلح الفطرية والشمولية.. مضمونهما بديهي؛ إذ لا يمكن أن يتعلم الإنسان شيئاً - لغة أو غير لغة - لولا أنه مزود باستعداد فطرى لذلك. ثم.. لا يمكن أن يأتى بجديد فى الفكر والأدب لولا أن عقله قابل لتكوين قوالب لفظية وإن كانت محدودة.. قادرة على إنتاج عبارات غير محدودة. وهذا.. فهم. كان ابن خلدون قد سبق فى توضيحه تشو. والقرآن الكريم أتى بتوضيح ذلك قبل ابن خلدون وتشو. على أن تفهم -

الفطرية، والشمولية - بأنهما (الاستعداد) منذ الولادة، وليس وجود
قوالب، وقوانين، منذ الولادة.

٢ - اللغة اكتساب، كما يقول السلوكيون، ولكن لا يتم تعلم اللغة
لولا أن في بعض خلايا الدماغ، استعداداً لاستقبال اللغة. ثم يتكون
فيها قوالب قادرة على إنتاج اللغة.

٣ - لا فرق كبيراً بين الفطرية والشمولية من جهة وبين القدرة
(=الملكة) والأداء من جهة أخرى، وهذان المفهومان سبق بهما ابن
خلدون - تشو - أيضاً.

٤ - عمَل النفس وسفرها للعقل. ضرورى لتلقى اللغة ثم لإنتاج الكلام
(=الكلام) يقوى ويتشكل تشكلاً مدهشاً - مُركَّباً - فى مجال الأدب.
ويضعف، ويترتب ترتباً بسيطاً فى مجالى العلم والفكر.

٥ - إن مصطلحى البنية الخفية؛ والبنية الظاهرة.. أدق من مصطلحى
البنية العميقة والبنية السطحية.

٦ - التطابق التام بين الأداء والقدرة اللغوية لا يكون إلا فى القرآن
الكريم، ويكون بنسبة عالية فى الأدب الرفيع. ويضعف فى الأدب
الردىء، وقد تكلم عن هذا الأمر اللغوى الناقد الإمام الجرجانى.
ومثاله.. أبيات البحترى السابقة. دلالة على التطابق شبه التام.
ولكن دلالة على (الانحراف) عن طريق تراجع القدرة اللغوية بيت
المتنبى - السابق.

٧ - ليس صحيحاً أن تغيير ترتيب الكلام لا يؤثر على ظلال المعنى
وإيحاءاته. بلى.. المعنى المركزى قد لا يتأثر. ولكن ظلال المعنى وإيحاءاته

تتأثر. لقد أدرك الجرجاني هذا بوضوح، ولم يدركه تشو. وله عُذر من طبيعة لغته - الأنماطية.

٨ - ليس في اللغات.. جملة أصلية، أو توليدية، وجملة فرعية (معدولة)، أو تحويلية - وإنما كل الجمل.. «أصلية» أو توليدية». والقول الأول خطأ واضح، في نظرية تشو. فليس في اللغة جمل تحويلية إلا على معنى غير بلاغى، وفي كل ما قاله النحاة العرب في أن في اللغة جملاً فرعية أو معدولة. فالمعاني العاطفية، والمعاني العقلية.. تولد بعض من كل منها، في حقبة زمنية واحدة. بل - إن الجملة الشعرية (=العاطفية) هي الأسبق. بيد أن الجملة العقلية ليست متولدة عنها (ليست فرعاً منها)، وإن تأخرت عنها في الوجود، فلكل من الجملتين مصدر يكون له التأثير الأقوى في توليدها ويكون للمصدر الآخر تأثير مساعد.. فجمال العلوم والفكر - بسيطة - وجمال الآداب - مركبة.



خلاصة البحث كله:

- ١ - ابن خلدون مفكر - وصفى ، استقرائى ، تحليلى .
- ٢ - ابن خلدون - مفكر موضوعى - حياىى - لا يصل أفكاره بمرجعية .
- ٣ - يرى ابن خلدون أن للعاميات بلاغتها (وهذا.. صحيح) ، ويمكن الاستغناء بها - الفصحى . (وهذا.. رأى لا يقيم وزناً للمرجعية الإسلامية ، ولا ينبه إلى تمييز الفصحى ، وهذا .. غير صحيح) .
- ٤ - يرى أن ملكة اللغة مستقلة عن صناعة الإعراب .. (هذا.. صحيح ، فى أيام السليقة اللغوية . أما بعد ذلك ، فلا يستغنى عن الجمع بين مطالعة الأدب ، وبين صناعة الإعراب) .
- ٥ - يعتبر الشعر الإسلامى أعلى من الشعر الجاهلى . (وهذا رأى لا يوافق عليه أحد) أما النثر إلى حد ما - والخطابة .. فهما أعلى منهما فى الجاهلية . (وهذا صحيح) .
- ٦ - بعض علماء صناعة الإعراب فصحاء ، لاتصالهم بالأدب الفصيح . وبعضهم لا يحسن كتابة صفحة ، وهم الذين اكتفوا بالتفقه بالصناعة . (وهذا صحيح) .
- ٧ - آراء ابن خلدون والجرجاني - وتشومسكى - فى مجال طبيعة اللغة - وتكوُّن اللغة ، وتوالدها ، من قدر محدود من الجمل والتراكيب ، تُكوِّن قوالب فى خلايا الدماغ - آراء هؤلاء الثلاثة متقاربة . وعنها ينتج ما لا يحصى من التعبير والجمل .

٨ - توضيحات منى لمرونة العربية - وأن جمال النظم متعدد الوجود.
ما بين جمل بسيطة وأخرى مركبة:

(أ) حركات الإعراب .. لها ثلاثة وظائف:

الوظيفة الأولى: بيان المعنى المراد،

الثانية: التفريق بين معاني التراكيب.

والوظيفة الثالثة، أطراد النسق.

(ب) لغة (أكلونى البراغيث) لغة صحيحة، إذ عبّرت عن
غاية بلاغية.

(ج) يتلون المعنى... حَسَبَ ترتيب الكلمات فى الجملة. وهذا ما أدركه
الجرجاني، ولم يتضح عند - تشو.

٩ - ليس فى اللغة جمل - توليدية - وأخرى - تحويلية - كما
يقول - تشو - وإنما الجمل كلها توليدية، ولكن بعضها كثير
الشيوع، وبعضها نادر.. ولكن بعضها جمل - بسيطة، وبعضها
جمل مركبة.

١٠ - أخيراً.. ابن خلدون مفكر سياسى اجتماعى اقتصادى - وليس
فقيه لغة، أو - ناقدًا محترفًا.. ولهذا.. جاءت بعض آرائه فى
اللغة.. صائبة وبعضها خاطئة.. وأدنى من فقهه باللغة.. قدرته
فى النقد.. ولذا، جاء رأيه عن شعر الإسلاميين - مخالفًا لحقيقة
هذا الشعر الذى هبط عند حسان - وعند عمر ابن أبى ربيعة..
عن شعر الجاهليين.

والله تعالى أعلم

المصادر والمراجع

المصادر:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - مقدمة ابن خلدون - بيروت/ دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١م.

المراجع:

- ١ - صحيح البخارى، الإمام محمد ابن إسماعيل (ت ٢٥٤هـ).
- ٢ - الجاحظ، عمر ابن بحر (ت ٢٥٥)، كتاب الحيوان، ج ٣، بيروت/ دار الجيل، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون.
- ٣ - خليل أحمد عميرة، فى نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة والنشر والتوزيع السعودية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ٤ - زينب محمود الخضيرى - فلسفة التاريخ عند ابن خلدون - بيروت/ دار التنوير - ١٩٨٢م.
- ٥ - صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه - دمشق/ جامعة دمشق - ١٩٥٩.
- ٦ - الإمام عبد القاهر الجرجانى (ت-٤٧١)، دلائل الإعجاز، القاهرة/ مكتبة الخانجى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكراً.
- ٧ - على عبد الواحد وافى - الظاهرات الاجتماعية فى موضوع مقدمة ابن خلدون - القاهرة/ منشورات المركز القومى - ١٩٦٢م.

- ٨ - عودة الله منيع القيسى - منابع الشعر ومكانة الشاعرة - عمان /
جمعية عمال المطابع التعاونية - ٢٠٠٢م.
- ٩ - رائية ابن أبي ربيعة في حبيبته - نُعم - عمان / دار البداية -
٢٠٠٣م.
- ١٠ - العربية الفصحى - مرونتها وعقلانيتها وأسباب خلودها - عمان /
دار البداية - ٢٠٠٨.
- ١١ - رؤى - نحوية وصرفية - تجديدية - عمان / دار
البداية - ٢٠١١م.
- ١٢ - ابن منظور - لسان العرب - بيروت / دار لسان العرب -
د.ت.
- ١٣ - محمد جابر الأنصاري - مقدمة ابن خلدون لم تؤثر في اللاحقين
- (مقالة) في مجلة: العربي - العدد - ٥٧٢ - السنة - ٢٠٠٦م.